مضى هذا في أولِ سورة البقرة[١].

ومعنى «هل ثُوِّب» أي: هل جُوزي [الكفار] بسُخْرِيتهم في الدنيا بالمؤمنين إذا فُعِل بهم ذلك[٢]. وقيل: إنه متعلِّق بـ «ينظرون» أي: ينظرون: هل جُوزيَ الكفار؟ فيكون معنى هل وموضعُها نصباً بـ «ينظرون». وقيل: استئنافٌ لا موضعَ له من الإعراب. وقيل: هو إضمارٌ على القول، والمعنى: يقول بعضُ المؤمنين لبعضٍ: «هل ثُوِّب الكفار» أي: أُثيبَ وجُوزي. وهو مِن ثابَ يثوبُ، أي: رجع، فالثَّوابُ ما يرجع على العبد في مقَابَلَةِ عَمَلِه، ويُستعمل في الخير والشَّرّ. خُتِمَتِ السورةُ والله أعلم.

سورة الانشقاق

مكية في قول الجميع، وهي خمس وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ أي: انْصَدَعَتْ[٣] وَتَفَطَّرَتْ بالغَمام، والغَمامُ مثلُ السَّحاب الأبيض. وكذا رَوَى أبو صالح عن ابن عباس. وروي عن عليٍّ عليه السلامُ قال: تُشَقُّ من المَجَرَّة[٤]. وقال: المَجرَّةُ بابُ السماء[٥]. وهذا من أشراطِ الساعةِ

(١) ١/ ٣١٥.

(٢) بنحوه في مجمع البيان ٣٠/ ٧٤، وما سلف بين حاصرتين منه. قال الطبرسي: وهو استفهام يراد به التقرير، ويكون استئنافَ كلام لا موضع له من الإعراب.

(٣) في (د) و(ظ): تصدعت.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٢٩.

(٥) أخرجه الطبراني (١٠٥٩١)، وأبو الشيخ في العظمة (٧٩٦) عن ابن عباس بلفظ: المجرة باب السماء الذي تنشق منه.

وعلاماتها.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي: سمِعتْ، وحُقَّ لها أن تسمع. رُوي معناه عن ابن عباس ومجاهدٍ وغيرهما[١]؛ ومنه قولُه ﷺ: «ما أَذِن الله لشيءٍ كَأَذَنِه لنبيٍّ يتغنَّى بالقرآن»[٢] أي: ما استمع الله لشيءٍ؛ قال الشاعر:

صُمٌّ إذا سمِعوا خيراً ذُكِرْتُ بِه ... وإنْ ذُكرتُ بسوءٍ عندهم أَذِنوا[٣]

أي: سمعوا: وقال قَعْنَب بنُ أمِّ صاحب:

إنْ يأذَنُوا رِيبةً طاروا بها فرحاً ... وما هُمُ أَذِنوا من صالحٍ دَفَنُوا[٤]

وقيل: المعنى: وحقَّق الله عليها الاستماعَ لأمره بالانشقاق. وقال الضحاك: حُقَّتْ: أَطاعَتْ[٥]، وحُقَّ لها أن تُطيعَ ربَّها؛ لأنه خَلَقها؛ يقال: فلانٌ مَحقوقٌ بكذا. وطاعةُ السَّماء: بمعنى أنها لا تمتنعُ مما أراد الله بها، ولا يَبْعدُ خَلْقُ الحياةِ فيها حتى تُطيعَ وتُجيبَ. وقال قتادة: حُقَّ لها أن تفعل ذلك؛ ومنه قولُ كثير:

فإن تَكُنِ العُتْبَى فأهلاً ومَرْحباً ... وحُقَّتْ لها العُتْبَى لدينا وقَلَّتِ[٦]

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي: بُسِطَت ودُكَّتْ جِبالُها. قال النبيُّ ﷺ: «تُمدُّ

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٢٣١ - ٢٣٢ .

(٢) أخرجه أحمد (٧٦٧٠)، والبخاري (٥٠٢٣)، ومسلم (٧٩٢) من حديث أبي هريرة ﷺ، وسلف ١/ ٢٨ .

(٣) البيت لقعنب بن أم صاحب، كما في عيون الأخبار ٣/ ٨٤ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤/ ١٢ ، وبهجة المجالس ١/ ٧٢٤ ، ومختارات ابن الشجري ص ٧ ، واللسان (أذن) و(شور)، وهو دون نسبة في تفسير الطبري ٢٤/ ٢٣٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٠٣ .

(٤) عيون الأخبار ٣/ ٨٤ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤/ ١٢ ، وللمرزوقي ٣/ ١٤٥٠ ، وبهجة المجالس ١/ ٧٢٥ ، ومختارات ابن الشجري ص ٧، واللسان (أذن) و(شور)، وهو في هذه المصادر برواية:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً ... مني وما سمعوا من صالح دفنوا

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٣٢ بلفظ: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ قال: سمعت وأطاعت.

(٦) ديوان كثير ص٧٩ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٣٤ ، والكلام منه.

مَدَّ الأديم»[١] لأنَّ الأديم إذا مدَّ زال كُلُّ انثناءٍ فيه وامتدَّ واسْتَوَى. قال[٢] ابنُ عباسٍ وابنُ مسعود: ويُزادُ في سَعَتها كذا وكذا؛ لوقوفِ الخلائقِ عليها للحساب، حتى لا يكون لأحدٍ من البشر إلَّا موضعُ قدمه، لكَثْرةِ الخلائقِ فيها. وقد مضى في سورة «إبراهيم» أنَّ الأرض تبدَّلُ بأرضٍ أخرى[٣]، وهي السَّاهرةُ في قولِ ابنِ عباسٍ على ما تقدَّم عنه[٤].

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي: أَخْرجَتْ أمواتَها، وتخلَّتْ منهم[٥]. وقال ابن جُبَير: أَلْقَتْ ما في بطنها من الموتى، وتخلَّتْ ممَّن على ظَهْرِها من الأحياء[٦].

وقيل: أَلْقَتْ ما في بطنها من كنوزها ومَعادِنها، وتخلَّت منها، أي: خلا جوفُها، فليس في بطنها شيءٌ، وذلك يُؤْذِنُ بعِظَمِ الأمر، كما تُلْقي الحاملُ ما في بَطْنها عند الشدَّة.

وقيل: تَخَلَّت مما على ظهرها من جبالها وبحارها.

وقيل: أَلْقَتْ ما استُودِعتْ، وتَخلَّتْ ممَّا استُحْفِظَتْ؛ لأنَّ الله تعالى استَوْدَعَهَا عِبَادَه أحياءً وأمواتاً، واستحفظها بلادَه مزارعةً وأقواتاً[٧].

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي: في إلقاءِ مَوْتاها ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي: وحُقَّ لها أنْ تَسْمعَ أمرَه.

واختُلف في جوابِ «إذا»؛ فقال الفرَّاء[٨]: «أذِنت»، والواوُ زائدةٌ، وكذلك

---

(١) سلف ١٢/ ١٦٨ .

(٢) في (ي): وقاله، وفي (د) و(ظ): وقال، وينظر ما سلف ١٢/ ١٦٨ .

(٣) ١٢/ ١٦٩ .

(٤) ص٥١ من هذا الجزء.

(٥) في (م): عنهم.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٢٣٥ .

(٧) النكت والعيون ٦/ ٢٣٥ ، وفيه: مزارع وأقواتاً.

(٨) في معاني القرآن ٣/ ٢٤٦ .

«وأَلْقَتْ». ابن الأنباريِّ: قال بعضُ المفسِّرين: جوابُ «إذا السماء انشقَّتْ»: «أَذِنَتْ»، وزَعَم أنَّ الواوَ مُقْحمَةٌ، وهذا غَلَطٌ؛ لأنَّ العرب لا تُقْحِمُ الواوَ إلَّا مع «حتى إذا» كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] ومع «لمَّا» كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ . وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٤] معناه: «ناديناهُ»، والواوُ لا تُقْحمَ مع غيرِ هذين. وقيل: الجوابُ فاءٌ مُضْمَرةٌ، كأنه قال: «إذا السماء انشقَّت» فيا أيها الإنسانُ إنَّك كادح[١].

وقيل: جوابُها ما دلَّ عليه «فمُلاقِيهِ»، أي: إذا السماء انشقَّتْ لاقَى الإنسانُ كَدْحَه[٢].

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخير، أي: «يا أيها الإنسانُ إنك كادحٌ إلى ربِّك كَدْحاً فملاقِيهِ» «إذا السماء انشقَّت». قاله المبرد[٣]. وعنه أيضاً: الجوابُ: «فأمَّا مَن أوتيَ كتابه بيمينه» وهو قولُ الكسائيِّ[٤]؛ أي: إذا السماء انشقَّتْ فَمَن أُوتيَ كتابه بيمينه فحُكْمُه كذا. قال أبو جعفر النحَّاس: وهذا أصحُّ ما قيل فيه وأَحْسَنُه.

وقيل: هو بمعنى: اذْكُرْ إذا السماءُ انشقَّتْ[٥].

وقيل: الجوابُ محذوفٌ لِعلْم المخاطَبينَ به، أي: إذا كانت هذه الأشياءُ عَلِمَ المكذِّبون بالبعث ضلالتَهم وخُسْرانَهم.

وقيل: تقدَّم منهم سؤالٌ عن وقتِ القيامة، فقيل لهم: إذا ظَهَرَتْ أشراطُها كانت القيامةُ، فرأيتم عاقبةَ تكذيبِكم بها. والقرآنُ كالآيةِ الواحدةِ في دلالةِ البعضِ على البعض.

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٧١.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٠٣.

(٣) زاد المسير ٩/ ٦٣.

(٤) ذكره عنه الرازي ٣١/ ١٠٥.

(٥) ذكره النحاس في إعراب القرآن ٥/ ١٨٥ وقال: فعلى هذا لا تحتاج إلى جواب.

وعن الحسن: إنَّ قوله: «إذا السماءُ انشقَّتْ» قَسَمٌ. والجمهورُ على خلافِ قوله، من أنه خبرٌ وليس بقَسَمٍ.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ المرادُ بالإنسان الجنسُ، أي: يا ابنَ آدمَ. وكذا روى سعيدٌ عن قتادةَ: يا ابنَ آدمَ، إنَّ كَدْحَكَ لضعيفٌ، فَمَن استطاع أن يكونَ كَدْحُه في طاعة الله فليفعلْ، ولا قوَّةَ إلَّا بالله[1].

وقيل: هو مُعَيَّنٌ؛ قال مقاتل: يعني الأسودَ بنَ عبد الأسد. ويقال: يعني أُبيَّ بنَ خَلفَ. ويقال: يعني جميعَ الكفَّارِ، يعني: يا أيها الكافرُ إنك كادحٌ. والكَدْحُ في كلام العرب: العملُ والكَسْبُ؛ قال ابن مُقْبِلٍ:

وما الدَّهْرُ إلَّا تارَتانِ فمنهما أَموتُ وأُخرى أَبتغي العيشَ أَكْدَحُ[2]

وقال آخَرُ:

ومَضَتْ بشاشةُ كلِّ عيشٍ صالِحٍ وبَقِيتُ أَكْدَحُ لِلحياةِ وأَنصبُ[3]

أي: أَعْملُ. وروى الضحَّاكُ عن ابن عباس: «إنك كادِحٌ» أي: راجعٌ، «إلى ربِّك كدحاً» أي: رجوعاً لا مَحالةَ، «فملاقِيهِ» أي: مُلاقٍ ربَّك. وقيل: مُلاقٍ عَملَك. القُتَبيُّ[4]: «إنك كادحٌ» أي: عامِلٌ ناصِبٌ في معيشتك إلى لقاء ربك.

والملاقاةُ بمعنى اللقاءِ، أي: تَلْقَى ربَّك بعملك. وقيل: أي: تُلاقي كتابَ عملك؛ لأنَّ العمل قد انْقَضَى ولهذا قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾[5].

---

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٣٥ .

(٢) ديوانه ص٢٤ ، وسلف ١٦/ ٤١٤ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ٢٣٥ .

(٤) في تفسير غريب القرآن ص ٥٢١ .

(٥) تفسير الرازي ٣١/ ١٠٥ .

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ وهو المؤمنُ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ لا مناقشةَ فيه. كذا روي عن رسول الله ﷺ من حديث عائشةَ قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَن حُوسِبَ يومَ القيامةِ عُذِّب» قالت: فقلتُ: يا رسولَ الله: أليس قد قال الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ . فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ فقال: «ليس ذاكِ الحسابُ، إنَّما ذلك العَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الحسابَ يومَ القيامةِ عُذِّب» أخرجه البخاريُّ ومسلم والترمذيّ، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[١].

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ أزواجِه في الجنة من الحور العين ﴿مَسْرُورًا﴾ أي: مُغْتبطاً قريرَ العين.

ويقال: إنها نزلت في أبي سلمةَ بن عبد الأسد، وهو أوّلُ مَن هاجَرَ من مكةَ إلى المدينة.

وقيل: إلى أهله الذين كانوا له في الدنيا، ليُخْبِرَهم بخَلاصِه وسلامته. والأوّلُ قولُ قتادة؛ أي: إلى أهله الذين قد أعدَّهم الله له في الجنة[٢].

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ نزلتْ في الأسود بنِ عبد الأسد أخي أبي سلمةَ؛ قاله ابنُ عباس. ثم هي عامةٌ في كلِّ مؤمنٍ وكافرٍ. قال ابن عباس: يمدُّ يدَه اليمنى ليأخذَ كتابه، فيجذبُه مَلَكٌ فيخلعُ يمينه، فيأخذُ كتابه بشماله من وراء ظهره. وقال قتادةُ ومقاتلٌ: تُفَكُّ ألواحُ صدرِه وعظامُه، ثم تَدْخُلُ يدُه وتَخْرجُ من ظهره، فيأخذُ كتابَه كذلك.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾ أي: بالهلاك، فيقول: يا وَيْلاه، يا ثُبورَاه. ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾

---

(١) سنن الترمذي (٢٤٢٦) و(٣٣٣٧)، وهو عند البخاري (٤٩٣٩)، ومسلم (٢٨٧٦)، وسلف ١٧/ ٢٩٨ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٣٦ ، وأخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٢٣٩ .

أي: ويدخُلُ النارَ حتى يَصْلَى بحرِّها.

وقرأ الحِرْميَّانِ وابنُ عامرٍ والكسائيُّ: ﴿ويُصَلَّى﴾ بضم الياء وفتحِ الصَّاد وتشديدِ اللَّام، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣١] وقوله: ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٩٤]. الباقون: «ويَصْلَى» بفتح الياءِ مخفَّفاً[١]، فِعْلٌ لازمٌ غيرُ متعدٍّ[٢]؛ لقوله: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٣] وقوله: ﴿يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [الأعلى: ١٢] وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا﴾ [المطففين: ١٦].

وقراءةٌ ثالثةٌ رواها أبانٌ عن عاصمٍ، وخارجةُ عن نافعٍ، وإسماعيلُ المكِّيُّ عن ابن كثير: «ويُصْلَى» بضمِّ الياءِ وإسكانِ الصَّادِ وفتحِ اللَّام مخفَّفاً[٣]، كما قُرئ: ﴿وسَيُصْلَون﴾ [النساء: ١٠] بضمِّ الياء[٤]، وكذلك في «الغاشية» قد قُرئ أيضاً: ﴿تُصْلَى ناراً﴾ [الآية: ٤][٥]. وهما لغتان: صلَّى وأَصْلَى، كقوله: نزَّل وأَنْزَل.

﴿إِنَّهُ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ﴾ أي: في الدنيا ﴿مَسْرُورًا﴾ قال ابن زيد: وَصَفَ الله أهلَ الجنةِ بالمَخافةِ والحزنِ والبكاءِ والشفقةِ في الدنيا، فأَعْقَبهم به النعيمَ والسرورَ في الآخرة، وقرأ قولَ الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ . فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٦-٢٧]. قال: ووصَفَ أهلَ النارِ بالسرور في الدنيا والضَّحِكِ فيها والتفكُّهِ، فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ أي: لن يرجعَ حيًّا مبعوثًا فيحاسَب، ثم يثاب أو يُعاقَب. يقال: حارَ يحورُ: إذا رجع؛ قال لبيد:

---

(١) السبعة ص ٦٧٧ ، والتيسير ص ٢٢١ .

(٢) ويكون نصبُ «سعيراً» على هذا بنزع الخافض، ينظر ما سلف ٦/ ٤٢٠ ، والدر المصون ٣/ ٥٩٥ - ٥٩٦ .

(٣) القراءات الشاذة ص١٧٠ .

(٤) وهي قراءة ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر وقد سلفت ٦/ ٩١ .

(٥) وهي قراءة أبي عمرو وعاصم في رواية أبي بكر، وستأتي.

وما المرءُ إلَّا كالشِّهابِ وضَوْئِهِ يحورُ رَماداً بعد إذ هو ساطِعُ[١]

وقال عِكرمةُ وداودُ بنُ أبي هند: يحورُ كلمةٌ بالحَبَشيَّة، ومعناها: يرجع[٢]. ويجوزُ أن تتَّفق الكلمتان فإنهما كلمةُ اشتقاقٍ. ومنه: الخبزُ الحُوَّارَى[٣]؛ لأنه يرجع إلى البياض.

وقال ابن عباس: ما كنتُ أدري ما يحور، حتى سمعتُ أعرابيةً تدعو بُنيةً لها: حُوري، أي: ارجعي إليّ[٤]. فالحَوْرُ في كلام العرب: الرجوعُ، ومنه قولُه عليه الصلاة والسلام: «اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من الحَوْرِ بَعْدَ الكَوْر»[٥] يعني: من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة، وكذلك الحُوْرُ بالضم. وفي المثل: «حُورٌ في مَحَارَةٍ» أي: نقصان في نقصان. يُضْرَبُ للرجل إذا كان أَمْرُه يُدْبِرُ؛ قال الشاعر:

واستَعْجَلوا عن خفيفِ المَضْغِ فازْدَردُوا والذمُّ يَبْقَى وزادُ القومِ في حُوْرِ[٦]

والحُوْرُ أيضًا: الاسمُ من قولك: طحَنَتِ الطاحنةُ فما أَحارتْ شيئًا، أي: ما ردَّتْ شيئاً من الدقيق. والحُوْر أيضًا: الهَلَكةُ؛ قال الراجِزُ:

في بِئرِ لا حُورٍ سَرَى وما شَعَرْ[٧]

---

(١) ديوان لبيد ص ١٦٩ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٣٦ ، وأخرجه عن عكرمة عبد بن حميد، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٣٠ .

(٣) الحوَّارَى بالضم وتشديد الواو والراء مفتوحة: الدقيق الأبيض، وكلُّ ما حوِّر من الطعام، أي: بُيِّضَ. الصحاح (حور)، والمعجم الوسيط (حور).

(٤) الكشاف ٤/ ٢٣٥ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٥٨ ، وتفسير الرازي ٣١/ ١٠٨ .

(٥) أخرجه أحمد (٢٠٧٧٢)، ومسلم (١٣٤٣) والترمذي (٣٤٣٩) من حديث عبد الله سَرْجِسَ ﷺ. ووقع في صحيح مسلم والترمذي: بعد الكون. قال الترمذي: ويروى: الحور بعد الكور، وكلاهما له وجه. اهـ وسيأتي الكلام عن الروايتين قريباً.

(٦) البيت لسبيع بن الخطيم، كما في شرح أبيات إصلاح المنطق للسيرافي ص ٢٨٨ ، واللسان (حور)، وهو دون نسبة في إصلاح المنطق ص ١٤١ ، والصحاح (حور) والكلام منه. قال السيرافي: الازدراد الابتلاع، وقوله: والذم يبقى...، يريد: الذم يبقى على الأيام، والأكل يذهب.

(٧) البيت للعجاج، وهو في ديوانه ص ٧٢ ، والصحاح (حور) والكلام منه. قال الأصمعي شارح =

قال أبو عبيدةَ: أي: في بئرِ حُوْرٍ، و«لا» زائدةٌ.

وروي: «بعد الكَوْنِ» ومعناه: من انتشارِ الأمرِ بعد تَمَامِهِ[١]. وسُئِل معمرٌ عن الحَوْرِ بعد الكَوْنِ، فقال: هو الكُنْتِيُّ. فقال له عبد الرزاق: وما الكُنْتِيُّ؟ فقال: الرجلُ يكون صالحاً ثم يتحوَّلُ رجلَ سوءٍ[٢]. قال أبو عمرو: يقال للرجل إذا شاخ: كُنْتِيٌّ، كأنه نُسِبَ إلى قوله: كنتُ في شبابي كذا وكذا. قال:

فأصبحت كُنْتيًّا وأصبحتُ عاجِنًا وشرُّ خِصَال المرءِ كُنْتُ وعاجِنُ[٣]

عَجَنَ الرجلُ: إذا نَهضَ مُعْتمداً [بيديه] على الأرض من الكِبَر[٤]. وقال ابن الأعرابيِّ: الكُنْتِيُّ: هو الذي يقول: كنتُ شابًّا، وكنتُ شجاعًا، والكانيُّ هو الذي يقول: كان لي مالٌ وكنتُ أَهَبُ، وكان لي خيلٌ وكنتُ أَرْكَب[٥].

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ أي: ليس الأمرُ كما ظنَّ، بل يحورُ إلينا ويرجع. ﴿إِنَّ رَبَّهُ

= الديوان: يريد: في بئر حور سرى الحَرُوريُّ وما شعر.

والبيت من قصيدة في مدح عمر بن عبد الله بن معمر، وكان عبد الملك وجهه إلى أبي فديك الحروري، فقتله وأصحابه.

(١) النكت والعيون ٦/ ٢٣٦ ، قال النووي في شرح صحيح مسلم ٩/ ١١١ : هو في معظم النسخ من صحيح مسلم: «بعد الكون» بالنون، بل لا يكاد يوجد في نسخ بلادنا إلا بالنون. اهـ. وقد رواه بعض رواة صحيح مسلم بالراء، كما ذكر القاضي عياض في إكمال المعلم ٤/ ٤٥٢ ، وأبو العباس في المفهم ٣/ ٤٥٥ . قال النووي: معناه بالراء والنون جميعاً: الرجوع من الاستقامة أو الزيادة إلى النقص، قالوا: ورواية الراء مأخوذة من تكوير العمامة، وهو لفُّها وجَمْعها، ورواية النون مأخوذة من الكون، مصدر كان يكون كونًا: إذا وُجد واستقر.

(٢) أخرجه الخطابي في غريب الحديث ٢/ ١٩٤ .

(٣) الصحاح (كون) و(عجن)، وأساس البلاغة (كون)، والتكملة للصاغاني ١/ ٣٣٦ . وهو في تهذيب اللغة ١٠/ ١٤١ برواية:

وما كنت كنتيًّا ولا كنت عاجنًا وشر الرجال الكُنْتُنيُّ وعاجِنُ

(٤) الصحاح (عجن)، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٢٣٦ ، وذكره بنحوه الأزهري في تهذيب اللغة ١٠/ ١٤١ .

كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ قبل أنْ يَخْلُقَه، عالماً بأنَّ مَرْجِعَه إليه. وقيل: بلَى لَيَحُورَنَّ ولَيَرْجِعَنَّ. ثم استأنف فقال: «إنَّ ربَّه كان بِهِ بصيرًا» مِن يومِ خَلَقَه إلى أنْ بَعَثَه. وقيل: عالمًا بما سبق له من الشقاء والسعادة.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ أي: فأُقْسِمُ و«لا» صِلَةٌ. ﴿بِٱلشَّفَقِ﴾ أي: بالحُمْرةِ التي تكونُ عندَ مغيبِ الشمسِ حتى تأتيَ صلاةُ العشاءِ الآخِرةِ. قال أشهبُ وعبد الله ابنُ الحكم ويحيى بنُ يحيى وغيرُهم ـ كثيرٌ عددُهم ـ عن مالك: الشَّفَقُ: الحُمْرةُ التي في المغرب، فإذا ذهبت الحمرةُ فقد خَرَجْتَ من وقتِ المغرب ووَجَبتْ صلاةُ العشاءِ[1].

وروى ابنُ وهب قال: أخبرني غيرُ واحدٍ عن عليّ بنِ أبي طالب ومُعاذ بنِ جبل وعُبادةَ بنِ الصامتِ وشدَّاد بنِ أَوْسٍ وأبي هريرةَ: أنَّ الشفَقَ الحمرةُ، وبه قال مالك ابن أنس. وذَكَر غيرُ ابنُ وَهْبٍ من الصحابة: عمرَ وابنَ عمرَ وابنَ مسعودٍ وابنَ عباسٍ وأنَساً وأبا قتادةَ وجابر بنَ عبد الله وابنَ الزبير، ومن التابعين: سعيد بن جبير، وابن المسيب، وطاوس، وعبد الله بن دينار، والزهريّ، وقال به من الفقهاء: الأوزاعيُّ ومالكٌ والشافعيُّ وأبو يوسفَ وأبو ثورٍ وأبو عُبيدٍ وأحمدُ وإسحاقُ.

وقيل: هو البياض؛ رُوي ذلك عن ابن عباس وأبي هريرةَ أيضاً وعمر بنِ عبد العزيز والأوزاعيِّ[2]، وأبي حنيفةَ في إحدى الروايتين عنه، ورَوَى أسد بنُ عمرو أنه

(١) الموطأ ١/ ١٣ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٩٨ .

(٢) تنظر أقوال الأئمة المذكورين في الأوسط ٢/ ٣٣٩ - ٣٤١ ، والتمهيد ٨/ ٩١ - ٩٢ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٩٨ ، وزاد المسير ٩/ ٦٥ - ٦٦ . وسلف بعضها ١٩/ ١٢٢ .

رجع عنه[١]. ورُوي عن ابن عمرَ أيضًا أنه البياضُ، والاختيارُ الأولُ؛ لأنَّ أكثر الصحابةِ والتابعين والفقهاءِ عليه؛ ولأنَّ شواهدَ كلامِ العربِ والاشتقاق والسنة تشهدُ له. قال الفرَّاء[٢]: سمعتُ بعضَ العربِ يقول لثوبٍ عليه مصبوغٍ: كأنه الشَّفَقُ، وكان أحمرَ، فهذا شاهدٌ للحُمْرة، وقال الشاعر:

أحمرُ[٣] اللونِ كمُحْمَرِّ الشَّفَقْ

وقال آخر:

قُمْ يا غلامُ أَعِنِّي غيرَ مُرْتَبِكٍ على الزمانِ بِكأسٍ حَشْوُها شَفَقُ[٤]

ويقال للمَغْرة[٥]: الشَّفَق. وفي «الصحاح»: الشَّفقُ بقيةُ ضوءِ الشمسِ وحُمْرتِها في أوّل الليل إلى قريبٍ من العَتَمة. قال الخليل: الشَّفقُ: الحمرةُ، من غروبِ الشمس إلى وقتِ العشاء الآخرة، إذا ذهب قيل: غاب الشَّفَق[٦]. ثم قيل: أصلُ الكلمةِ من رِقَّةِ الشيءِ؛ يقال: شيءٌ شَفِقٌ، أي: لا تَماسُكَ له لرقَّته. وأَشْفَقَ عليه: أي: رقَّ قلبه عليه، والشَّفَقةُ: الاسمُ من الإشفاق، وهو رِقَّةُ القلب، وكذلك الشَّفَق؛ قال الشاعر:

تَهْوَى حَياتي وأَهْوَى موتَها شَفَقًا والموتُ أكرمُ نزَّالٍ على الحُرَمِ[٧]

فالشَّفَقُ: بقيةُ ضوءِ الشمسِ وحمرتِها، فكأنَّ تلك الرقَّةَ من ضوء الشمس. وزعم

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٣٥ . وأسد بن عمرو هو أبو المنذر - وقيل: أبو عمرو - القاضي القشيري البجلي الكوفي ، سمع أبا حنيفة وتفقه عليه، توفي سنة (١٨٨هـ). الجواهر المضيَّة ١/ ٣٧٦ .

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٢٥١ .

(٣) في (م): وأحمر، ولم نقف على البيت.

(٤) لم نقف عليه.

(٥) المَغْرة ويحرك: طين أحمر. القاموس (مغر).

(٦) الصحاح (شفق).

(٧) نسب لإسحاق بن خلف، كما في زهر الآداب ١/ ٤٨٥ ، والحماسة البصرية ١/ ٢٧٥ ، وفوات الوفيات ١/ ١٦٤ ، واللسان (شفق). قال صاحب اللسان: وقيل: هو لابن المعلى. ونسبه ابن المعتز في طبقات الشعراء ص٢٨١-٢٨٢ لمحمد بن يسير الرياشي. وهو دون نسبة في عيون الأخبار ٣/ ٩٤ ، والصحاح (شفق).

الحكماءُ أنَّ البياضَ لا يغيبُ أصلاً. وقال الخليل: صعدتُ مَنارةَ الإسكندريةِ فرمقتُ البياضَ، فرأيتُه يتردَّدُ من أفقٍ إلى أفقٍ ولم أَرَه يغيبُ[١]. وقال ابن أبي أُويس: رأيتُه يتمادَى إلى طلوعِ الفجرِ. قال علماؤنا[٢]: فلمَّا لم يتحدَّدْ وقتُه سَقَطَ اعتبارُه.

وفي «سُنَن» أبي داودَ عن النعمان بن بَشير قال: أنا أَعْلَمُكم بوقتِ صلاةِ العشاءِ الآخِرة؛ كان النبيُّ ﷺ يصلِّيها لسقوطِ القمرِ لثالثةٍ[٣]. وهذا تحديدٌ، ثم الحكمُ معلَّقٌ بأولِ الاسم. لا يقال: فينقَضُ عليكم بالفجر الأوّل، فإنَّا نقولُ: الفجرُ الأوّل لا يتعلَّقُ به حكمٌ من صلاةٍ ولا إمساكٍ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ بيَّن الفجرَ بقوله وفِعْلِه فقال: «وليس الفجرُ أن تقول هكذا ـ ورَفَعَ يدَه إلى فوق ـ ولكنَّ الفجرَ أن تقول هكذا». وبَسَطها، وقد مضى بيانُه في آيةِ الصيامِ من سورة البقرة[٤]، فلا معنى للإعادة.

وقال مجاهد: الشفقُ: النهارُ كلُّه، ألا تراه قال: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾[٥]. وقال عِكرمةُ: ما بقي من النهار[٦].

والشفقُ أيضاً: الرديءُ من الأشياء؛ يقال: عطاءٌ مُشَفَّقٌ، أي: مقلَّل؛ قال الكُميت:

مَلِكٌ أَغَرُّ مِن الملوك تَحلَّبتْ ... للسائلين يداه غير مُشفّقِ[٧]

---

(١) ذكره الجصاص في أحكام القرآن ٢/ ٢٧٨ ، وقال: وقد راعيته في البوادي في ليالي الصيف، والجوُّ نقي، والسماء مصحيةٌ، فإذا هو يغيب قبل أن يمضي من الليل ربعه بالتقريب، ومن أراد أن يعرف ذلك فليجرب حتى يتبين له غلط هذا القول.

(٢) هو ابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٨٩٩ .

(٣) سنن أبي داود (٤١٩)، وهو عند أحمد (١٨٤١٥)، والترمذي (١٦٥)، والنسائي في المجتبى ١/ ٢٦٤ . قوله: «لسقوط القمر» أي: وقت غروبه أو سقوطه إلى الغروب «لثالثة» أي: في ليلة ثالثة من الشهر. تحفة الأحوذي ١/ ٥٠٧ .

(٤) ٣/ ١٩٣ .

(٥) أحكام القرآن للكيا الطبري ٣/ ٤٢٨ ، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٢٤٤ دون قوله: ألا تراه...

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٦٤ .

(٧) ديوان الكميت ص ٢٤٨ ، والصحاح (شفق) والكلام منه.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي: جَمعَ وضمَّ ولفَّ، وأصلُه من سَواد[١] السلطانِ وغَضَبِه؛ فلولا أنه خرج إلى العباد من بابِ الرحمةِ ما تَمالك العبادُ لمجيئه، ولكن خرج من باب الرحمة فمزِج بها، فسَكَنَ الخَلْقُ إليه، ثم ابْذَعَرُّوا[٢] والْتفُّوا وانْقَبَضوا، ورجع كلٌّ إلى مأواه فسَكَن فيه مِن هَوْلِه وحشاً، وهو قولُه تعالى: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ أي: بالليل ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣] أي: بالنهار، على ما تقدَّم. فالليلُ يَجْمعُ ويضمُّ ما كان منتشراً بالنهار في تَصَرُّفه. هذا معنى قولِ ابنِ عباسٍ ومجاهدٍ ومقاتلٍ وغيرهم[٣]؛ قال ضابئ بنُ الحارث البُرْجُميُّ:

فـإنِّـي وإيـاكُـمْ وشـوقًـا إلـيـكُـمُ كـقـابِـضِ مـاءٍ لـم تَـسِـقْـهُ أَنـامِـلُـهْ[٤]

يقول: ليس في يدي من ذلك شيءٌ، كما أنه ليس في يدِ القابضِ على الماء شيءٌ. فإذا جلَّل الليلُ الجبالَ والأشجارَ والبحارَ والأرضَ فاجتمعت له، فقد وَسَقَها[٥]. والوَسْقُ: ضَمُّكَ الشيءَ بعضَه إلى بعضٍ، تقول: وَسَقْتُه أَسِقُه وَسْقًا. ومنه قيل للطعام الكثيرِ المجتمِع: وَسْقٌ، وهو ستُّونَ صاعاً. وطعامٌ مُوْسَق، أي: مجموع. وإبلٌ مُسْتَوْسِقةٌ، أي: مُجتمِعةٌ؛ قال الراجز:

إنَّ لـنـا قَـلائِـصـاً حَـقَـائِـقـا مُـسْـتَـوْسِـقـاتٍ لـو يَـجِـدْنَ سـائِـقـا[٦]

---

(١) في (م): سورة.

(٢) أي: فزُّوا وجفلوا. تاج العروس (بذعر).

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٢٤٥ - ٢٤٧ .

(٤) الصحاح (وسق)، والمستقصى ٢/ ٢٠٩ ، والخزانة ٩/ ٣٢٣ .

(٥) الصحاح (وسق).

(٦) نسبهما صاحب اللسان (وسق) للعجاج، وليسا في ديوانه، وهما بلا نسبة في الكامل ٣/ ١١٤٥ ، والفاضل للمبرِّد ص١٠ ، والثاني في مجاز القرآن ص ٢٩١ ، وتفسير الطبري ٢٤/ ٢٤٥ . القلائص جمع قَلُوص، وهي الناقة الشابة. والحقائق جمع حِقَّة، وهي من الإبل ما دخل في السنة الرابعة إلى آخرها، سمي بذلك لأنه استحق الركوب والتحميل. النهاية (قلص) و(حقق).

وقال عِكرمةُ: «وما وَسَق» أي: وما ساق من شيءٍ إلى حيث يَأوي[١]، فالوَسْقُ بمعنى الطَّرْد، ومنه قيل للطريدة من الإبل والغنم والحمر: وسِيقة، قال الشاعر:

كما قافَ آثارَ الوسِيقةِ قائِفُ[٢]

وعن ابن عباس: «وما وَسَق»، أي: وما جَنَّ وسَتر[٣]. وعنه أيضاً: وما حَمَل. وكلُّ شيءٍ حَملْتَه فقد وَسَقْتَه، والعربُ تقول: لا أفعلُه ما وَسَقَتْ عيني الماءَ، أي: حَمَلَتْه. ووسَقَتِ الناقةُ تَسِقُ وَسْقًا، أي: حَمَلَتْ وأغْلَقتْ رَحِمَها على الماء، فهي ناقةٌ واسِقٌ، ونُوْقٌ وِسَاقٌ، مثل: نائِم ونيام، وصاحِب وصِحاب، قال بشر بن أبي خازم:

أَلَظَّ بِهِنَّ يَحْدوهُنَّ حتى تَبَيَّنَتِ الحِيالُ مِن الوِساقِ[٤]

ومَواسيقُ[٥] أيضًا. وأَوْسَقْتُ البعيرَ: حَمَّلْته حِمْلَه. وأوسَقَتِ النخلةُ: كَثُر حملُها[٦].

وقال يمان والضحاك ومقاتل بن سليمان: حَمَلَ من الظُّلْمةِ. قال مقاتل: أو حَمَلَ من الكواكب. القشيريُّ: ومعنى حَمَل: ضمَّ وجمع، والليلُ يجلِّلُ بظُلْمتِه كلَّ شيءٍ،

---

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٤٨ .

(٢) وصدره: كذبتُ عليك لا تزال تقوفني. والبيت للأسود بن يعفر، كما في شرح أبيات إصلاح المنطق ص ٥٠٥ ، ونسب للقطامي كما في اللسان (قوف). وهو بلا نسبة في إصلاح المنطق ص ٣٢٤ ، والصحاح (وسق)، واللسان (كذب) وفيه: معنى كذب عليكم معنى الإغراء، أي: عليكم به. فقوله كذبت عليك، إنما أغراه بنفسه، أي: عليك بي. قال السيرافي: يهجو بذلك تولباً أحد بني معاوية بن مالك، وقافه يقوفه: إذا اتَّبعه. يقول: عليك بي فاتبعني كما تُتَّبعُ آثار الطريدة إذا أُخذت، فإنك لا تضيرني بذلك. اهـ. والطريدة: ما سرق من الإبل. القاموس (طرد).

(٣) النكت والعيون ٦/ ٢٣٧ .

(٤) الصحاح (وسق) و(لظظ)، والبيت في ديوان بشر ص ١٧٨ برواية: تبيَّن حُوْلهن من الوساق. والحيال والحُوْل جمع حائل، وهي الناقة التي حُمل عليها فلم تلقح. القاموس (حول). وقوله: ألظ، أي: ألحَّ، وفي الصحاح (لظظ): الإلظاظ: الإلحاح.

(٥) في (ي) و(ظ): ومواسق، وكلاهما صواب، يقال: نوق مواسيق ومواسق، وهو جمع على غير قياس. الصحاح (وسق).

(٦) الصحاح (وسق).

فإذا جلَّلها فقد وَسَقَها، ويكونُ هذا القَسَمُ قسماً بجميع المخلوقات؛ لاشتمالِ الليلِ عليها، كقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ . وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨-٣٩].

وقال ابن جُبير: «وما وَسَق» أي: وما عُمِلَ فيه[١]. يعني التهجُّدَ والاستغفارَ بالأسحار، قال الشاعر:

ويومًا ترانا صالحينِ وتارةً تقومُ بِنا كالواسِقِ المتلَبِّبِ

أي: كالعامل[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ أي: تمَّ واجْتَمَعَ واسْتَوَى. قال الحسن: اتَّسق، أي: امْتَلأَ واجْتَمَع. ابن عباس: اسْتَوَى. قتادةُ: استدار[٣]. الفرَّاءُ: اتِّساقُه: امتلاؤه واستواؤه لياليَ البدر، وهو افتعالٌ من الوَسْقِ الذي هو الجمع[٤]، يقال: وَسَقْتُه فاتَّسَقَ، كما يقال: وَصَلْتُه فاتَّصَلَ، ويقال: أمرُ فلانٍ مُتَّسِقٌ، أي: مُجتمِعٌ على الصلاح مُنْتظِمٌ. ويقال: اتَّسقَ الشيءُ: إذا تتابع.

﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قرأ عمرُ وابنُ مسعودٍ وابنُ عباسٍ وأبو العاليةِ ومسروقٌ وأبو وائلٍ ومجاهدٌ والنخَعيُّ والشعبيُّ وابنُ كثيرٍ وحمزةُ والكسائيُّ: «لَتَرْكَبَنَّ» بفتح الباء[٥]، خطاباً للنبيِّ ﷺ، أي: لتركَبَنَّ يا محمدُ حالاً بَعْدَ حالٍ؛ قاله ابن عباس[٦]. الشعبيُّ: لتركَبَنَّ يا محمدُ سماءً بعد سماءٍ، ودرجةً بعد درجةٍ، ورُتبةً بعد رتبةٍ، في

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢٣٧ ، وأخرجه عبد بن حميد، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٣٠ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٣٧ ، وذكر البيت أيضاً صاحب اللسان (وسق).

(٣) أخرج أقوالهم الطبري ٢٤/ ٢٤٩ - ٢٥٠ ، وقول قتادة أخرجه أيضاً عبد الرزاق ٢/ ٣٥٨ .

(٤) الوسيط ٤/ ٤٥٥ ، وقول الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٥١ : اتساقه: امتلاؤه ثلاث عشرة إلى ست عشرة.

(٥) السبعة ص ٦٧٧ ، والتيسير ص ٢٢١ عن ابن كثير وحمزة والكسائي. وذكرها عن عمر وابن مسعود وابن عباس الطبري ٢٤/ ٢٥٠ .

(٦) أخرجه البخاري (٤٩٤٠)، والطبري ٢٤/ ٢٥١ .

القربةِ من الله تعالى[١].

ابن مسعود: لتَرْكَبَنَّ السماءُ حالاً بعد حالٍ، يعني حالاتها التي وَصَفَها الله تعالى بها؛ من الانشِقاق والطَّيِّ، وكونها مرةً كالمُهلِ ومرةً كالدِّهانِ[٢]. وعن إبراهيم عن عبد الله: «طبقاً عن طبقٍ» قال: السماءُ تقلَّبُ حالاً بعد حال. قال: تكونُ وردةً كالدِّهانِ، وتكونُ كالمهل[٣].

وقيل: أي: لتركَبَنَّ أيها الإنسانُ حالاً بعدَ حالٍ، من كَوْنِكَ نطفةً ثم عَلَقةً ثم مضغةً، ثم حيًّا وميتاً وغنيًّا وفقيرًا. فالخطابُ للإنسان المذكورِ في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ وهو اسمٌ للجنس، ومعناه الناس.

وقرأ الباقون: «لتركَبُنَّ» بضمِّ الباءِ، خطاباً للناس، واختاره أبو عُبيد وأبو حاتم، قال: لأنَّ المعنى بالناسِ أشبهُ منه بالنبيِّ ﷺ، لما ذكر قبل هذه الآية: فَمَن أُوتي كتابه بيمينه ومَن أُوتي كتابه بشماله. أي: لتركُبنَّ حالاً بعد حالٍ من شدائد القيامة. أو لتركَبُنَّ سُنَّةَ مَن كان قَبْلَكم في التكذيب والاختلافِ[٤] على الأنبياء.

قلت: وكلُّه مُرادٌ، وقد جاءتْ بذلك أحاديثُ، فروى أبو نعيم الحافظُ عن أبي جعفر محمد بنِ علي[٥] عن جابرٍ ﷺ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ ابن آدمَ لفي غَفْلةٍ ممَّا[٦] خَلَقَه الله عزَّ وجلَّ له؛ إنَّ الله لا إله غيرُه إذا أراد خَلْقَه قال للمَلكِ: اكتُبْ رزقَه وأَثَره وأَجَلَه، واكتب شقيًّا أو سعيداً، ثم يرتفعُ ذلك الملكُ، ويبعث الله

---

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٥٤ ، وقوله: ودرجة بعد درجة...، ليس منه، وإنما ذُكر في شرحه، كما في الوسيط ٤/ ٤٥٥ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٦٥ .

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٣) أخرجه من طريق إبراهيم عن عبد الله بن مسعود الطبري ٢٤/ ٢٥٥ - ٢٥٦ ، وهو والذي قبله في المعنى سواء.

(٤) في (م): واختلاق.

(٥) في النسخ: عن جعفر بن محمد بن علي، والمثبت هو الصواب.

(٦) في (م): عما.

مَلَكاً آخَرَ فيحفظُه حتى يُدْرِكَ، ثم يبعثُ الله مَلَكَين يكتبان حسناتِه وسيئاته، فإذا جاءه الموتُ ارتفع ذانِكَ الملكان، ثم جاءه ملكُ الموتِ عليه السلامُ فيقبضُ روحَه، فإذا أُدْخِل حُفْرتَه رُدَّ الروحُ في جسده، ثم يرتفعُ مَلكُ الموتِ، ثم جاءه مَلَكا القبرِ فامتَحَناه، ثم يرتفعان، فإذا قامت الساعةُ انحطَّ عليه مَلَكُ الحسناتِ ومَلَكُ السيئاتِ، فأَنْشَطا كتاباً معقوداً في عنقه، ثم حضرا معه، واحدٌ سائقٌ والآخَرُ شهيدٌ، ثم قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ * فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] قال رسول الله ﷺ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال: «حالاً بعدَ حالٍ» ثم قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ قُدَّامَكُمْ أمراً عظيماً فاستعينوا بالله العظيم»[1] فقد اشتمل الحديثُ على أحوالٍ تعتري الإنسانَ، من حين يُخْلقُ إلى حين يُبعثُ، وكلُّه شدَّةٌ بعد شدَّةٍ، حياةٌ ثم موتٌ، ثم بعثٌ ثم جزاءٌ، وفي كلِّ حالٍ من هذه شدائدُ.

وقال ﷺ: «لتَرْكَبُنَّ سَنَن مَن قَبْلَكم، شبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراعٍ، حتى لو دَخَلوا جُحرَ ضَبٍّ لدخَلْتُموه» قالوا: يا رسولَ الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فَمَنْ؟» خرَّجه البخاريُّ[2].

وأمَّا أقوال المفسِّرين، فقال عكرمةُ: حالاً بعد حالٍ، فطيماً بعد رضيعٍ، وشيخاً بعد شَابٍّ[3]، قال الشاعر:

كـذلِـك الـمـرءُ إن يُـنْـسَـأْ لـه أَجَـلٌ يَـرْكَـبْ عـلـى طَـبـقٍ مِـن بَـعْـدِه طَـبَـقُ[4]

---

(١) الحلية ٣/ ١٩٠ ، وسلف ١٩/ ٤٤٥ . قال ابن كثير: هذا حديث منكر، وإسناده فيه ضعفاء، ولكن معناه صحيح.

(٢) في صحيحه (٣٤٥٦)، وهو عند أحمد (١١٨٠٠)، ومسلم (٢٦٦٩) وهو من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، ووقع في هذه المصادر: لتتبعن، بدل: لتركبن. وأخرج أحمد (١٨٨٩٧) من حديث أبي واقد الليثي ﷺ: «لتركبن سنن مَن كان قبلكم سُنَّةً سُنَّةً».

(٣) في (د) و(م) و(ي): شباب، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٦/ ٢٣٨ والكلام منه.

(٤) البيت لكعب بن زهير، وهو في ديوانه ص ٦٨ ، وغريب الحديث لابن قتيبة ١/ ١٢٩ ، وهو فيهما برواية: يُرْكَب به طبق...، قال ابن قتيبة: أي ينقل من حال الشباب إلى حال الهرم.

وعن مكحول: كلَّ عشرين عاماً تجدون أمراً لم تكونوا عليه[١].

وقال الحسن: أمراً بعد أمرٍ، رَخاءً بعد شدَّةٍ، وشدَّةً بعد رَخاءٍ، وغنًى بعد فَقْرٍ، وفقرًا بعد غِنًى، وصحةً بعد سُقْمٍ، وسقماً بعد صحةٍ.

سعيد بن جبير: منزلةً بعد منزلةٍ، قومٌ كانوا في الدنيا متَّضِعينَ فارتفعوا في الآخرة، وقومٌ كانوا في الدنيا مُرْتَفعين فاتَّضَعوا في الآخرة[٢].

وقيل: منزلةً عن منزلةٍ، وطَبَقاً عن طَبَقٍ، وذلك أنَّ مَن كان على صلاحٍ دعاه إلى صلاحٍ فوقَه، ومَن كان على فسادٍ دعاه إلى فسادٍ فوقه، لأنَّ كلَّ شيء يجري إلى شَكْلِه.

ابن زيد: ولتصيرُنَّ من طَبَق الدنيا إلى طَبَق الآخرة[٣].

وقال ابن عباس: الشدائد والأهوال: الموتُ، ثم البعث، ثم العَرْض[٤]. والعربُ تقولُ لمن وقع في أمرٍ شديدٍ: وَقَع في بَنَاتِ طَبَقٍ، وإحدى بناتِ طَبَقٍ، ومنه قيل للدَّاهية الشَّديدة: أمُّ طَبَقٍ، وإحدى بناتِ طَبَقٍ، وأصلُها من الحيَّات؛ إذ يُقال للحية: أمُّ طَبَق لتَحَوِّيها[٥]. والطَّبَقُ في اللغة: الحالُ، كما وصفنا؛ قال الأقرعُ بنُ حابس التميميُّ:

إنِّي امرؤٌ قد حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطُرَه ... وساقني طَبَقٌ منه إلى طَبَقِ[٦]

وهذا أَدَلُّ دليلٍ على حدوث العالَم، وإثباتِ الصانع؛ قالت الحكماء: مَن كان

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٣٦ ، وأخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير والدر المنثور ٦/ ٣٣١ ، وفيهما: تُحدثون، بدل: تجدون.

(٢) ذكر قول الحسن وقول سعيد بن جبير الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٣٨ .

(٣) أخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٢٥٤ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤٦٥ .

(٥) تحوَّى: تجمَّع واستدار. المعجم الوسيط (حوى).

(٦) زاد المسير ٩/ ٦٧ . ويقال: حَلَب فلانٌ الدهرَ أشْطُرَه، أي: خبر ضروبه، أي: مرَّ به خير وشر. تهذيب اللغة ١١/ ٣٠٧ .

اليومَ على حالةٍ، وغداً على حالةٍ أُخرى، فلْيَعلَم أنَّ تدبيره إلى سواه. وقيل لأبي بكرٍ الورَّاقِ: ما الدليلُ على أنَّ لهذا العالَمِ صانعاً؟ فقال: تحويلُ الحالاتِ، وعجزُ القوَّةِ، وضَعْفُ الأركان، وقَهْرُ المنيةِ، ونَسْخُ العزيمة.

ويقال: أتانا طَبَقٌ من الناس وطَبَقٌ من الجراد، أي: جماعة[١]: وقولُ العباسِ في مَدْحِ النبيِّ ﷺ:

تُنْقَلُ مِن صالبٍ إلى رَحِمٍ إذا مضَى عالَمٌ بدا طَبَقُ[٢]

أي: قَرْنٌ من الناس يكونُ طِبَاقَ الأرض: أي: مِلْأها.

والطَّبق أيضاً: عَظْمٌ رقيق يَفْصِلُ بين الفَقَارين. ويقال: مضَى طَبقٌ من اللَّيل، وطَبَقٌ من النهار، أي: مُعْظَمٌ منه. والطَّبَقُ: واحدُ الأطباق[٣]، فهو مُشْتركٌ.

وقُرئ: «لَتَرْكَبِنَّ» بكَسْرِ الباء، على خطابِ النَّفْسِ، و«لَيَرْكَبَن» بالياءِ على: لَيَرْكَبَنَّ الإنسان[٤].

و«عن طبقٍ» في محلِّ نصبٍ على أنَّه صفةٌ لـ «طبقًا»، أي: طبقاً مُجاوزاً لطبقٍ. أو حالٌ من الضمير في «لتَركَبُنَّ» أي: لتركبُنَّ طبقاً مُجاوِزِينَ لطبَقٍ، أو مُجاوِزاً، أو مُجاوِزَةً، على حَسَبِ القراءة[٥].

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: أيُّ شيءٍ يمنعُهم من الإيمان بعد ما وَضَحَتْ لهم الآياتُ، وقامتِ الدلالاتُ. وهذا استفهامُ إنكارٍ. وقيل: تعجيب، أي: اعْجَبوا منهم في تَرْكِ الإيمانِ مع هذه الآيات.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ أي: لا يُصَلُّون. وفي الصحيح: أنَّ

---

(١) الصحاح (طبق).

(٢) المعاني الكبير ٢/ ٥٥٧ ، واللسان (صلب)، وسلف ١٤/ ٨٧ . قال صاحب اللسان: أراد بالصالب: الصُّلْب، وهو قليل الاستعمال. وقال ابن قتيبة: العالَم: القرن من الناس، وكذلك الطبق من الناس.

(٣) الصحاح (طبق).

(٤) الكشاف ٤/ ٢٣٦ ، وذكر الثانية ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٧٠ عن عمر ﷺ.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٣٦ .

أبا هريرة قرأ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ فسَجَدَ فيها، فلمَّا انْصَرَفَ أَخْبَرَهم أنَّ رسول الله ﷺ سَجَدَ فيها[١]. وقد قال مالكٌ: إنَّها ليستْ من عزائم السُّجود[٢]؛ لأنَّ المعنى: لا يُذْعِنون ولا يطيعون في العمل بواجباته. ابنُ العربيِّ[٣]: والصحيحُ أنَّها منه، وهي روايةُ المَدَنيين عنه، وقد اعْتَضَد فيها القرآنُ والسنَّةُ.

قال ابنُ العربيِّ: لمَّا أَمَمْتُ بالناسِ تَرَكْتُ قراءتها؛ لأنِّي إنْ سجدتُ أَنْكَروه، وإنْ تركتُها كان تقصيراً منِّي، فاجتنبتُها إلَّا إذا صلَّيتُ وحدي. وهذا تحقيقُ وَعْدِ الصَّادقِ بأنْ يكونَ المعروفُ مُنْكَراً، والمنكَرُ معروفاً؛ وقد قال ﷺ لعائشةَ: «لولا حِدْثانُ قومِكِ بالكفرِ لهَدَمْتُ البيتَ، ولَرَدَدْتُه على قواعِدِ إبراهيمَ»[٤]. ولقد كان شيخُنا أبو بكرٍ الفِهْريُّ يرفعُ يديه عند الركوعِ، وعند الرفعِ منه، وهو مذهبُ مالكٍ والشافعيِّ، ويفعلُه الشِّيعةُ، فحضر عندي يوماً في مَحْرَسِ ابنِ الشَّواء بالثغر ـ مَوْضع تَدْريسي ـ عند صلاةِ الظُّهْرِ، ودخل المسجدَ من المَحْرسِ المذكورِ، فتقدَّم إلى الصفِّ [الأولِ] وأنا في مؤخَّرِه قاعدٌ[٥] على طاقاتِ البحر، أتنسَّمُ الريح من شدَّة الحرِّ، ومعي في صفٍّ واحدٍ أبو ثمنةَ رئيسُ البحرِ وقائدُه، مع نَفَرٍ من أصحابه يَنتظِرُ الصلاة، ويتطلَّع على مراكب تَحت المنار[٦]، فلمَّا رفع الشيخُ يديه في الركوعِ وفي رَفْعِ الرأس منه، قال أبو ثمنةَ وأصحابُه: أَلَا تَرَوْنَ إلى هذا المَشْرِقيِّ كيف دخل مَسْجِدَنا؟ فقوموا إليه فاقتلوه وارْمُوا به إلى البحر، فلا يراكم أحدٌ. فطار قلبي من بين جَوَانحي وقلتُ: سبحان الله! هذا الطُّرْطُوشيُّ فقيهُ الوقتِ. فقالوا لي: ولمَ يَرفعُ يديه؟ فقلت: كذلك كان النبيُّ ﷺ يفعلُ،

---

(١) صحيح البخاري (٧٦٦)، وصحيح مسلم (٥٧٨)، واللفظ له، وسلف ٩/ ٤٤٠ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٩٩ .

(٣) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٩٩ - ١٩٠٠ ، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٤) أخرجه أحمد (٢٤٢٩٧)، والبخاري (١٥٨٥)، ومسلم (١٣٣٣)، وسلف ٢/ ٣٩٢ .

(٥) في النسخ: قاعداً، والمثبت من أحكام القرآن.

(٦) في (م) ومطبوع أحكام القرآن: الميناء، والمثبت من النسخ الخطية، وهو أيضاً نسخة في أحكام القرآن ذكرت في الحاشية.

وهذا مذهبُ مالكٍ في روايةِ أهلِ المدينة عنه. وجعلتُ أُسَكِّنُهم وأُسْكِتُهم حتى فرغ من صلاته، وقمتُ معه إلى المَسكَنِ من المحرس، ورأى تغيُّرَ وجهي، فأَنْكَره، وسألني فَأعْلَمْتُه، فضحك وقال: ومِن أين لي أنْ أُقتلَ على سنَّةٍ؟ فقلتُ له: ولا يَحِلُّ لك هذا، فإنَّك بين قومٍ إنْ قُمْتَ بها قاموا عليك، وربَّما ذهبَ دمُكَ. فقال: دَعْ هذا الكلامَ، وخُذْ في غيره.

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ﴾ محمداً ﷺ وما جاء به. وقال مقاتلٌ: نزلتْ في بني عمرو بنِ عُمَير وكانوا أربعةً، فأَسْلَم اثنان منهم. وقيل: هي في جميع الكفار.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أي: بما يُضْمِرونه في أنفسهم من التكذيب. كذا رَوى الضحاكُ عن ابنِ عباسٍ[1]. وقال مجاهدٌ: يكتُمون من أفعالهم[2]. ابنُ زيدٍ: يَجْمعون من الأعمال الصالحةِ والسيئةِ؛ مأخوذٌ من الوِعاء الذي يَجْمع ما فيه؛ يقال: أَوْعَيْتُ الزادَ والمتاعَ: إذا جَعَلْته في الوِعاء؛ قال الشاعر:

الخيرُ أَبْقَى وإن طالَ الزمانُ بِه والشرُّ أَخْبَثُ ما أَوْعَيتَ مِن زادِ[3]

وَوَعَاه، أي: حَفِظَه؛ تقول: وَعَيْتُ الحديثَ أَعِيْهِ وَعْيًا، وأذُنٌ واعِيةٌ. وقد تقدَّم[4].

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: مُوْجِعٍ في جهنَّمَ على تكذيبهم. أي: اجْعَلْ ذلك بمنزلةِ البِشَارةِ. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ استثناءٌ منقطعٌ، كأنه قال: لكنِ الذين صَدَّقوا بشهادةِ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ الله، وعَمِلوا الصالحات،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٤٥٦ ، وأخرجه ابن أبي حاتم وابن المنذر بلفظ: يُسِرُّون. الدر المنثور ٦/ ٣٣١ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٣٩ ، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٨ .

(٤) ٢١/ ١٩٧ - ١٩٨ .

أي: أَدَّوا الفرائضَ المفروضةَ عليهم ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾ أي: ثوابٌ ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غيرُ مَنْقوصٍ ولا مَقْطوعٍ؛ يقال: مَنَنْتُ الحبلَ: إذا قطعته. وقد تقدَّم[١].

وسأل نافع بنُ الأَزْرقِ ابنَ عباس عن قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ فقال: غيرُ مقطوعٍ. فقال: هل تَعْرِفُ ذلك العربُ؟ قال: نعم قد عَرَفَه أخو يشكرَ حيث يقول:

فترى خَلْفَهُنَّ مِن سُرْعةِ الرَّجْـ ـعِ مَنِيناً كأنَّه أَهْبَاءُ[٢]

قال المبرِّدُ: المَنينُ: الغبارُ؛ لأنها تقطِّعُه وراءها[٣]. وكلُّ ضعيفٍ مَنينٌ وممنونٌ.

وقيل: «غيرُ ممنونٍ»: لا يُمنُّ عليهم به.

وذكر ناسٌ من أهلِ العلم أنَّ قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ليس استثناءً، وإنما هو بمعنى الواو، كأنَّه قال: والذين آمنوا. وقد مضى في «البقرة» القولُ فيه[٤]، والحمدُ لله. تمت سورة الانشقاق.

---

(١) عند تفسير الآية (٨) من سورة فصلت.

(٢) ذكر هذا الخبر المبرد في الكامل ٣/ ١١٥١ ، والبيت من معلقة الحارث بن حِلِّزةَ اليشكري، كما في شرح المعلقات للنحاس ٢/ ٥٧ ، وسلف ١٥/ ٣٩٦ .

(٣) في الكامل: تقطعه قطعاً وراءها.

(٤) ٢/ ٤٥٥ .